Issn:2437-0967 مجلة اللغة الوظيفية
المجلد10،العدد1
2023

أدب الأطفال بين الجمالية والقَيمِيّة: "العصفور الجميل" و "الحمامة الذهبية" لعز الدين جلاوجي أنموذجا

Children's literature between Aesthetics and Value system: "The Beautiful Bird" and "The Golden Dove" by *Ezzedine Djellaoudji* as examples

محمد أمين مولوج *

المركز الجامعي تيبازة،(الجزائر)

mouloudj.mohamed@cu-tipaza.dz

تاريخ الإرسال:2023/03/22	تاريخ القبول:2023/06/15	تاريخ النشر:2023/06/17

الملخص

يعدّ أدب الطفل أحد مجالات الإبداع الأدبي المهمّة، لأهمية وخصوصية الفئة المستهدفة بهذا الإبداع؛ وفي هذا السياق يحاول البحث التعريف بأدب الطفل ومكانته في الجزائر؛ من خلال تقديم نماذج للكاتب الجزائري "عز الدين جلاوجي"، كما يعالج البحث أهمية توظيف القيم على تنوعها في الأعمال الأدبية الموجهة للطفل، وإشكالية الجمالية والفنية في هذا النوع من الأدب.

وسعيا لذلك درس البحث منظومة القيم في قصتي: "العصفور الجميل" و"الحمامة الذهبية"، وفق الخطة الشاملة للثقافة العربية التي أصدرتها جامعة الدول العربية. ومدى تمكن الكاتب من الجمع بين الجمالية التي يقتضيها الأدب وبين القيمية التي تفرضها الفئة المستهدفة. وقد توصل البحث إلى نتائج تؤكّد غنى القصتين بالجوانب الجمالية والفنية؛ فضلا عن تمكّن الكاتب ببراعة من بث العديد من القيم التربوية والاجتماعية والثقافية والسياسية المناسبة لهذه الفئة.

الكلمات المفتاحية: أدب الطفل، جلاوجي، منظومة القيم، الجمالية، الفنية، العصفور الجميل، الحمامة الذهبية.

Abstract:

Children's literature is one of the important areas of literary creative writings, due to the importance and specificity of the caterogy targeted with this creativity. This research comes in the context of an attempt to introduce children's literature and its status in Algeria. And this,

* المؤلف المرسل

by presenting examples of the Algerian writer "Ezzedine Djellaoudji". The research deals also with the significance of using values in their diversity in literary works pointed to children, and the aesthetic and artistic problematic in this type of literature.
In this spirit, the article opts for the study of the value system personifyed in two stories, namely: "The Beautiful Bird" and "The Golden Dove", according to the global plan of Arab culture issued by the League of Arab States. The research reached results confirming the fullness of the two stories in terms of aesthetic and artistic aspects. In addition, the writer was able to brilliantly extend many educational, social, cultural and political values suitable for this sensitive category.
Keywords: Children's literature; Ezzedine Djellaoudji; Value system; Aesthetics; Artistic aspect; The Beautiful Bird; The Golden Dove

مقدمة:

لا شك أنّ أدب الأطفال قد نما نموا واضحا بين السبعينيات والتسعينيات، وأصبح الباحث قادرا على أن يعثر في كل دولة عربية على رصيد مقبول من النصوص الأدبية ذات المستوى الفني الجيد. وهذا الأمر يدعو إلى التفاؤل بمستقبل أدب الأطفال في العالم العربي. ولعل الجزائر على الخصوص كانت سباقة في هذا المجال؛ إذ ترجع اهتمامات الكتاب الجزائريين بهذا النوع من الأدب إلى ثلاثينيات القرن الماضي تقريبا حيث نجد بوادر هذا الأدب الفتي في كتابات علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأدبائها على غرار: عبد الحميد بن باديس، ومحمد البشير الإبراهيمي وغيرهما. وقد تنوعت هذه الكتابات بين:

– الأعمال الشعرية: ومن أشهر الشعراء الجزائريين الذين كتبوا للأطفال: محمد الأخضر السائحي، يحيى مسعودي، بوزيد حرز الله، محمد العيد آل خليفة، مفدي زكريا؛ وغيرهم.

– الأعمال النثرية: وقد تضمنت فنونا متنوعة كقصص الأطفال، والمسرح، وصحافة الطفل وغيرها، ومن أشهر من كتب في ذلك نجد: رابح خدوسي، جيلالي خلاص، أحمد رضا حوحو، محمد الصالح رمضان، جميلة زنير، عبد العزيز بوشفيرات، عبد الوهاب حقي وغيرهم.

ومما يؤكد على سبق الجزائر في هذا الخصوص، اهتمام الدولة بهذا الأدب حيث شرعت وزارة الثقافة منذ عام 1996 في تنظيم مسابقة خاصة بأدب الأطفال. وقد كان للكاتب "عز الدين جلاوجي" الذي سيتناول البحث بالدراسة قصّتيه: "العصفور الجميل" و "الحمامة الذهبية" نصيب من هذه الجائزة، حيث فازت "العصفور الجميل" بنسخة 1999م. وهو ما يؤكّد أهمية هذا البحث؛ خاصّة أنه يتناول إشكالية شائكة مفادها: **هل أدب الأطفال وسيلة لغرس القيم التربوية والإنسانية، أم هو غاية بحد ذاته؟ وهل يستطيع أدب الأطفال أن يحقق تلاقحا ناجحا يزاوج فيه بين الأمرين: الجمالية والقَيمية؟، وما مدى تحقّق ذلك في كتابات عز الدين جلاوجي لا سيما قصتي: "العصفور الجميل" و "الحمامة الذهبية"؟**

وللإجابة على هذه الإشكالية ينطلق البحث من مسلمات وفرضيات تتعلّق بتحديد مفهوم أدب الطفل ومكانته والتحدّيات التي تواجهه، وأنّ ثمّة محاولات متقدّمة لتحقيق التناغم والتوافق بين الجانب الجمالي والقيمي، في كتابات أدب الطفل في العالم العربي عموما وفي الجزائر على وجه التحديد.

2. مفهوم أدب الأطفال

لابد ونحن بصدد محاولة تحديد لمفهوم أدب الطفل أن نحدد المراد من كلمة "أدب" وكلمة "طفل"، لننتقل بعد ذلك إلى البحث عن المفهوم الذي يفيده المركب الإضافي "أدب الأطفال" أو "أدب الطفل".

في لسان العرب لابن منظور: الأدب؛ الدعوة، ومنه المأدبة: الدعوة إلى الطعام (منظور، 1414 هـ، صفحة 206). وفي أساس البلاغة للزمخشري: "أدبهم على الأمر: جمعهم عليه" (الزمخشري، 1922 ، صفحة 7). ثم صارت الكلمة في العصر الأموي بمعنى التهذيب والتعليم، وأطلق لفظ المؤدب على مربي الأطفال، وفي العصر العباسي تحول مدلولها إلى المعرفة عامة، ثم صارت الكلمة في هذا العصر تطلق على كل ما يكتب في اللغة مهما يكن موضوعه، ومهما يكن موضوعه؛ سواء أكان علما أم فلسفة أم أدبا خالصا، فكل ما ينتجه العقل والشعور يسمى أدبا، ومعنى خاص هو الأدب الخالص الذي لا يراد به مجرّد التعبير عن معنى من المعاني بل يراد به أن يكون جميلا يؤثر في عواطف القارئ والسامع على نحو ما هو معروف في صناعتي الشعر وفنون النثر الأدبية مثل الخطابة والأمثال والقصص والمسرحيات والمقامات (ضيف، 2003 ، الصفحات 7-11).

أما كلمة "طفل" فهي في اللغة: "الصبي، يدعى طفلا حين يسقط من بطن أمه إلى أن يحتلم" (منظور، 1414 هـ)، وبذلك فإن أدب الطفل يستهدف الأطفال من سن الرابعة تقريبا إلى غاية السادسة عشرة أو السابعة عشرة، وبالتالي فهو يتناول مرحلة المراهقة أيضا. ولا يخفى ما تنطوي عليه هذه الفترة العمرية من خصوصيات؛ مما يحتم على المهتمين بها على غرار أدباء الأطفال مزيدا من الحذر، وكثيرا من الوعي.

تمدّنا الكتب النقدية التي تناولت موضوع أدب الطفل بجملة من التعريفات المتقاربة في مضمونها فهو عموما: الكتابات الأدبية الفنية التي تخاطب الصغار بهدف تهذيبهم ودعوتهم إلى التحلي بالفضائل وترك الرذائل، مع مراعاة حاجات الطفل وقدراته، إنه "مجموعة من الإنتاجات الأدبية المقدمة للأطفال، التي تراعي خصائصهم وحاجاتهم ومستويات نموهم وآفاقها التخيلية، وتتدرج بالطفل حتى تمكنه من الحياة ومتطلباتها مستلهمة قيم الإنسان لبناء كيان الطفل جسمياً ونفسياً وعقلياً وسلوكياً" (السبيل، 1999).

أمّا الأستاذ أحمد نجيب في كتابه: "فن الكتابة للأطفال" فيرى أن "أدب الأطفال هو الأدب الذي يشمل الكلام الجيد الذي يحدث في النفوس متعة فنية سواء أكان شفويا بالكلام أم تحريريا بالكتابة"

(نجيب، 1982، صفحة 279). وهنا إشارة مهمة من الأستاذ أحمد نجيب عندما يجعل أدب الأطفال يشمل ما هو مكتوب وما هو شفوي أيضا، غير أننا نعيب على كلا التعريفين إغفالهما للوسائط التي يقدّم بها أدب الأطفال وخاصة في أيامنا هذه؛ وسط عزوف أطفال اليوم عن القراءة في مقابل انكبابهم على وسائط أخرى على غرار البرامج التلفزيونية والهواتف الذكية التي غزت العالم وسيطرت على اهتمام الجميع فضلا عن الأطفال، إضافة إلى مختلف البرامج السمعية البصرية الأخرى التي تعتبر بلا شك جزءا مهما من الأدب الموجه للأطفال. وفي هذا السياق يعرف "بتزنر جون" أدب الأطفال بأنّه: "مجموعة الخبرات ذات الدلالة بالنسبة للأشخاص... ونظرا لأن هذا السجل من الخبرات ليس مقصورا على الكتابة وجب أن نضمِّن في عرضنا للأدب بالنسبة للأطفال كل أنواع الصور... فضلا عن الأسطوانات والتسجيلات الإذاعية... والصحف واللافتات وكتابات الأطفال أنفسهم والصور المتحركة والمسرح..." (بتزنر، صفحة 6).

ولعل من أجمع التعريفات تعريف الأستاذ بريغش محمد حسن، فأدب الأطفال عنده: "هو النتاج الأدبي الذي يتلاءم مع الأطفال حسب مستوياتهم وأعمارهم، وقدرتهم على الفهم والتذوق، وفق طبيعة العصر، وبما يتلاءم مع المجتمع الذي يعيشون فيه... فكل عصر له سماته وله طبيعته، وله أذواقه وأسلوبه" (بريغش، 1997، صفحة 46). وهو تعريف يحاول أن يضع شروطا محددة لهذا النوع من الأدب تتلخص في:

- ملاءمته لمستوى الأطفال وأعمارهم.
- أن يكون بمقدور الأطفال فهمه وتذوقه.
- ملاءمته لواقعهم وموافقته لسمات عصرهم.
- أن يراعي عادات وتقاليد المجتمع الذي يعيشون فيه.

1.2 أدب الأطفال وإشكالية الجمالية والفنية

لا بد في العمل الأدبي الجيد –سواء كان موجها للبالغين أم للأطفال الصغار– من توفر المعايير الفنية والجمالية التي تحقق له الأدبية وللقارئ المتعة. فلكل لون من ألوان الأدب معاييره ومواصفاته وخصائصه. فللشعر الجيد مقاييسه، وللقصة فنياتها، وللمسرحية الناجحة مقوماتها. غير أنّ أدب الأطفال يمتاز إضافة إلى ذلك بضرورة مراعاة جمهور المتلقين –الأطفال– من حيث مستواهم العقلي والنفسي واللغوي، فالكاتب الناجح هو الذي يسعى إلى التقرب إلى الأطفال بكتاباته، ويتقمص شخصياتهم، ويحاول جاهدا تحقيق التوازن بين ما تفرضه عليه العملية الإبداعية الفنية، وما تقتضيه العملية التربوية النفسية.

وبعبارة أوضح؛ نقول: إن على أديب الأطفال ألاّ يهتم بالشكل من لغة وأسلوب وخيال وعناصر فنية مختلفة؛ على حساب المضمون من أفكار وقيم، كما لا يفعل العكس أيضا، بل عليه أن يحرص تمام الحرص على المزاوجة بين الأمرين؛ يفعل ذلك في تناغم ولطف يليق بلطف أرواح الجمهور المستهدف. وفي هذا الإطار يقول الباحث المصري أحمد نجيب: "من الضروري أن تتأكد أهمية "التكامل" بين الشكل والمضمون، بحيث لا يتم كل منهما بمعزل عن الآخر بأي حال من الأحوال، وإنما يجب أن تربط بينهما معايير أدب الأطفال السليم" (بريغش، 1997، صفحة 77).

فالأدب الموجه للأطفال يتكون من مقوّمين اثنين لا يمكن التضحية بأحدهما ؛ وهذان المقوّمان هما : الفن والتربية، فالأدب الموجه للأطفال عمل فني، وهو في الوقت نفسه عمل تربوي، وهذا التداخل بين الفن والتربية أوجد إشكاليات فنية وتربوية متعددة ، ففي هذا المجال لم يعد الأديب وحده في الميدان يكتب ما شاء وكيفما شاء، بل أصبح ينافسه مسؤولية إنتاج الكتابة للأطفال أو ترشيد وتوجيه إنتاجها علماء النفس والتربية، وتحول هؤلاء إلى منافسين للمشتغلين بدراسة الأدب فهم يحاولون احتكار هذا الميدان، ويمارسون سلطة على المبدع خصوصا بعد التطورات التي شهدها ميدان علم النفس وعلوم التربية ، وراحت مؤلفات هؤلاء تخصص مباحث لأدب الطفل، وكأنّه حقل من حقولها (جلولي، 2008 ، صفحة 18). هذا التداخل والمنافسة يجرنا حتما لطرح التساؤل الآتي :

هل أدب الأطفال وسيلة لغرس القيم التربوية والإنسانية، أم هو غاية بحد ذاته؟ وهل يستطيع أدب الأطفال أن يحقق تلاقحا ناجحا يزاوج فيه بين الأمرين؟

إن الإجابة عن هذه الإشكالية رغم عمقها تبدو بسيطة وواضحة –في نظري– لأن هذا التلاقح وإن لم يتحقق في الواقع بعدُ بالصورة المرضية، فإنّه يبقى أملا يسعى إليه كل أديب يحمل على عاتقه هَمَّ الكتابة للأطفال، فمع إقرار الكثير من النقاد والباحثين المشتغلين بأدب الأطفال بصعوبة هذا النوع من الأدب إلا أنهم يؤكدون أن: "على أديب الأطفال أن يضع في حسبانه كثيرا من التقنيات، ويرصد إزاء ذهنه كثيرا من الحقائق التي لا تقبل الجدل ومن هذه الحقائق والتقنيات مراعاة المستوى العمري والفكري واللغوي والنفسي وغير ذلك" (مرتاض، 1994 ، صفحة 62). ورغم هذه الصعوبات التي تضبط المبدعين في هذا المجال نظرا لخصوصية الموضوعات التي يتجاوب معها الأطفال، بالإضافة إلى الاعتبارات التربوية والنفسية؛ إلا أنه لا ينبغي التضحية بالأسس والمقومات الجمالية والفنية للأدب، فأدب الأطفال عمل فني جمالي قبل أن يكون عملا تعليميا تربويا (جلولي، 2008 ، صفحة 21).

فالواجب إذن على من يكتب في أدب الطفل العمل على تحقيق الحدّ الأدنى من الجمالية التي تجمع بين اللغة البسيطة الراقية، والخيال المناسب للنمو الإدراكي للطفل، والمقارب لواقعه المعيش؛ وفي سبيل

ذلك ينبغي على كاتب أدب الأطفال مراعاة جملة من المعايير المقترحة؛ والتي يمكن أن نجملها فيما يأتي:

-وضوح الأسلوب وبساطة الألفاظ، وتميزها، وتشويقها. وذلك بوضوح الكلمات والتراكيب اللغوية المستعملة، وترابطها. (الهيتي، 1977، صفحة 101).

-جمال الأسلوب وسمو الفكرة وانسجامها مع الواقع، مع وضوحها. (ربحي، أدب الأطفال، 2014، صفحة 78). ويمكن شرح ذلك بالنقاط الآتية (الهيتي، 1977، صفحة 101):

-**الوضوح:** يتعلق بالكلمات والتراكيب والأفكار، فيجب أن تكون مرتبة وواضحة ومترابطة.

-**القوة:** وتتمثل في المثيرات أو المنبهات التي توقظ أحاسيس الطفل ومشاعره، وتحرّك وعيه وخيالاته، وتدفعه إلى التأمّل والتعاطف إضافة إلى ما تعطيه للفكرة من جمال.

-**الجمال:** من خلال التناغم بين الأصوات والمعاني عن طريق استخدام ألفاظ وتعابير سلسة موحية.

-**الخفّة:** وذلك بتضمين كل فقرة فكرة وابتسامة، وعدم تكثيف الأفكار.

كما يجب أن يشتمل أدب الطفل على خصائص فكرية تخاطب الخيال وتنميه، لا سيما الأخيلة البديعة التي تفتح للطفل آفاق الخيال العلمي على مصراعيه، وتساهم في تنمية ذوقه الفني واللغوي، من خلال التركيز على استخدام جمل قصيرة وواضحة يفهمها الطفل دون عناء ويتفاعل مع مضمونها.

أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول.

2.2 أهمية القيم في أدب الأطفال

إنّ تنشئة الطفل وتربيته وتهيئته لما هو منتظر منه في المستقبل القريب أو البعيد، عملية في غاية الصعوبة والتعقيد؛ يشترك فيها -بقصد أو بغير قصد- عدة أطراف على غرار: الأسرة، المدرسة، جماعة الأقران (أصدقاء المدرسة أو أصدقاء الحي)، المسجد أو مكان العبادة، ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة...، أمّا الأدب فيحتل مكانة بارزة في هذه العملية، ويقع على عاتقه الدور الأساسي لأنّه ببساطة يستطيع: "أن يلبي احتياجاتهم -الأطفال- النفسية، ويسهم في إشباع اهتماماتهم العقلية، ويربي أذواقهم، ويصقل مشاعرهم وإحساساتهم، ويمكنهم من التصدي للحياة ومتغيراتها بإيجابية ووعي" (الرضا، 1990، صفحة 7). ولأنّه أيضا يعتبر "رافدا من روافد الشخصية القومية للطفل، ومكونا من مكوناتها" (روحي، 1998 ، صفحة 8).

ونظرا للدور المحوري –إذن– لأدب الأطفال في تنشئة الطفل وبناء شخصيته، فقد ركز كتّاب أدب الطفل لا سيما العرب منهم على ضرورة مزجه بمختلف القيم الضرورية ذات التأثير الإيجابي والمباشر على الطفل؛ "حتى إنه ليصعب الحصول على نص عربي للأطفال ليس فيه قيمة وطنية أو قومية، أو اجتماعية أو أخلاقية إيجابية" (روحي، 1998 ، صفحة 10).

وعموما فإنّ أهمية القيم في حياة الطفل وأدبه واضحة لا تحتاج مزيد تأكيد؛ خصوصا إذا أدركنا قدرتها على توجيه نشاط الطفل وتحديد سلوكه، وتكامل شخصيته. وإنّما الحري بالتأكيد والتوضيح هو أن يكون هؤلاء الكتّاب على قدر من المسؤولية والوعي بالمُثُل الاجتماعية العليا؛ بعيدا عن الأحكام الذاتية والنظرة الفردية، وإنما ينبغي أن يكون اختيار القيم الملائمة لأدب الأطفال بناء على عمق في الفهم والوعي، وإحاطة بمحتوى هذه القيم وانعكاساتها على الواقع، وتأثيرها على سلوك المجتمع.

ورغم أن اقتراح "منظومة قيم" ما وادعاء أنها الأكثر ملاءمة يعدّ أمرا صعب التحقيق نسبيا، إلا أن منظومة القيم التي قدمها "رالف وايت" تعتبر من أفضلها كونها لاقت شهرة كبيرة لدى النقاد والباحثين في الوطن العربي (روحي، 1998 ، صفحة 15). ومع ذلك فإنه لا يحسن –في نظري– الاعتماد عليها لخصوصية الثقافة العربية الإسلامية، وعدم مناسبتها لها.

وبدلا عن ذلك يمكننا الاعتماد على منظومة القيم التي اشتملت عليها الخطة الشاملة للثقافة العربية؛ التي صدرت عن جامعة الدول العربية سنة 1986 م، والتي يمكن تلخيصها كالآتي (روحي، 1998 ، الصفحات 17–18):

–**قيم سياسية:** تهدف إلى تكريم الإنسان بوصفه إنسانا، وهي تتناول: نفي التمييز العنصري، الشورى أسلوبا للحكم، العدل، رفض الظلم، الحرية ، تحرير الإنسان من الاستغلال، حرية التعبير، المساواة في الفرص.

–**قيم اجتماعية:** احترام الأسرة، إيثار المروءة، احترام الآخرين، العفو هو أساس العلاقات الاجتماعية، نبذ الأنانية، العدل الاجتماعي، التحلي بالمسؤولية، الحفاظ على النظافة، الرفق بالحيوان...

–**قيم اقتصادية:** تقديس العمل، التحفيز على الإنتاج والاستثمار، منع الاكتناز والاحتكار، أولية المصلحة العامة، الثروات ملك للدولة...

–**قيم فكرية وثقافية:** رفض الأمية، تكريم العلم، الحكمة ضالة المؤمن، التحفيز على الإبداع، الانفتاح على الثقافات...

3. البناء الجمالي والفني في قصتي "العصفور الجميل" و "الحمامة الذهبية" لعز الدين جلاوجي

1.3 ملخص القصتين:

1.1.3 العصفور الجميل

تدور أحداث هذه القصة حول الشخصية الرئيسية فيها؛ "طارق" الطفل المهذب في أخلاقه، المجتهد في دروسه، المفتتن بالطبيعة وجمالها، وخاصة تلك الطيور المغرّدة التي لطالما أطربته بنغماتها الشجية وأدهشته بألوانها ونعومة ريشها وتنوع أشكالها، ومن شدة افتتانه بها؛ كان كثيرا ما يرسمها ويلونها بأجمل الألوان. لكن ذلك لم يكن كافيا، لقد أراد أن تكون أكثر قربا منه لذلك اهتدى بعد تفكير طويل إلى حيلة مكنته بمساعدة صديقه خالد أن يصطاد عصفورا؛ بعد أن صنع قفصا ونثر داخله وحوله حبات من القمح وربط بابه بخيط واختبأ هو وصديقه خلف شجرة مجاورة، وسرعان ما أمسك بأحد العصافير الجميلة بعد عدة محاولات فاشلة، ففرحا به أيما فرح!!. لكن هذا الفرح لم يلبث أن زال وهما ينظران إلى العصفور المسكين داخل القفص منكمشا حزينا صامتا، لم يعد يغرد فرحا كما كان... لقد أحزنهما ذلك كثيرا خاصة أنهما لم يعرفا سبب حزنه وتغير حاله. وبينما هما كذلك أقبل والد طارق ورأى ما صنعا، وراح طارق يشرح له الأمر... لكن والده بين له أن حب العصافير لا يكون بسجنها في الأقفاص بعيدا عن فراخها؛ إن ذلك يحزنها، ويجعل الطبيعة تعيسة ومملة!!. وهكذا تعلم الصبيان الدرس وندما على فعلهما وبادرا إلى التكفير عن ذنبهما بإطلاق سراح العصفور؛ بل وعزما على تأسيس جمعية لحماية العصافير* (جلاوجي، عقد الجمان: قصص للأطفال، 2020، الصفحات 41-52).

2.1.3 الحمامة الذهبية

هذه القصة عبارة عن حكاية من حكايا الأجداد، البطل فيها حمامة عجيبة ذات رأس ذهبي، وجناحان خضراوان، كانت تستوطن مع فراخها آمنة شجرة زيتون، وبينا هي كذلك فاجأها قرد أبيض مغتر بقوته فهددها وطردها من عشها. فاهتدت إلى حيلة تدافع بها عن نفسها وتحمي فراخها، فباغتت القرد وهو نائم في جنح الظلام وفقأت عينه اليمنى بمنقارها الحاد، وظنت أنها تخلصت منه إلى الأبد، ولكن القرد سرعان ما عاد مهددا في الصباح بالانتقام؛ فضحكت الحمامة منه وهددته إن هو عاد أن تفقأ عينه الأخرى. ذهب القرد حزينا متألما وشكا حاله لصديقه الخنزير طالبا منه المساعدة في الأخذ بثأره، وأغراه مستعينا بحيلته حتى تمكن من إقناعه.

عاد القرد إلى الزيتونة المباركة فوجد الحمامة غائبة فأفسد عشها ورمى فراخها، ثم بنى لنفسه بيتا حصينا؛ حتى إذا جاءت الحمامة تفاجأت من هول ما رأت، وأخذت فراخها إلى مكان آمن وراحت تطعمهم وتحميهم وتعلمهم الطيران؛ حتى إذا كبروا وأصبحوا قادرين على مواجهة الصعاب ذكرتهم

*) تجدر الإشارة إلى أن هذه القصة قد تحصّلت على جائزة وزارة الثقافة المخصصة لأدب الأطفال سنة: 1999م، وهو واحد من أسباب اختيارنا لها في هذه الدراسة.

بموطنهم الأصلي وضرورة استرجاعه، ونبهتهم أن لا سبيل إلى ذلك إلا بالاتحاد. وهكذا فكرت الحمامة في الحيلة المناسبة وقررت هي وفراخها أن تهاجم القرد الذي كان يأتي الخنزير بطعامه فقتلوه.

وهكذا اضطر الخنزير إلى الخروج من مخبئه بعد أن أهلكه الجوع... وعادت الحمامة وفراخها إلى موطنهم فرحين منتصرين (جلاوجي، السلسلة الذهبية: قصص للأطفال، 2021، الصفحات 21-33).

2.3 دراسة البناء الفني والجمالي في القصتين:

أول ما يميّز البناء الفني الجمالي في القصتين سلاسة الأسلوب ووضوحه، ويمكن ان نلمس ذلك من خلال ما يأتي:

-**الوضوح:** يظهر ذلك من خلال الألفاظ المختارة في القصتين؛ فهي كلمات مألوفة وموحية تنتمي لعالم الأطفال ومعجم الطفولة، ومن أمثلتها: الحياة، السعادة، التفاؤل، الفرخ، القمر، الشمس، الطيور العصافير، الألوان... (جلاوجي، عقد الجمان: قصص للأطفال، 2020)، جدنا، صلاة العشاء، أحفادي، حمامة بيضاء، حناحان خضراوان، قرد أبيض، شجرة الزيتون... (جلاوجي، السلسلة الذهبية: قصص للأطفال، 2021). والأمر كذلك بالنسبة للتراكيب المستعملة، فهي في غاية السلاسة والدقة والوضوح؛ ومن أمثلة ذلك: "الحياةُ جميلةُ ، كُلّ ما فيها يدعو للسّعادة والتّفاؤل...، اخضرار النباتات، اختلاف ألوان الأزهار، إضاءةُ القمر، تلألؤ النّجوم في صفحة السّماء، إشراقة الشّمس الذهبيَّة، روعة الحيوانات والطّيور... يتملّكه الإعجاب بها وهي تحلّق في الجو باسطة أجنحتها دون أن تسقط إلى الأرض. ويَطرب أشد الطَّرب لنغماتها الشَّجيَّة الّتي تبعثها في كل صباح، خاصة في الصباح الباكر حين تستيقظ من نومها، وفي المساء حين تَؤوب إلى أعشاشها، تجتمع استعداداً للنوم..." (جلاوجي، عقد الجمان: قصص للأطفال، 2020، صفحة 41). والأمر نفسه ينسحب على الأفكار التي جاءت في سلاسة وترتيب وترابط مناسب.

-**القوّة:** وتظهر في قدرة النصين -القصتين- على مخاطبة مشاعر وأحاسيس الأطفال، كقوله معبرا عن مشاعر "طارق" بطل القصة: "ولكن طارقاً أحسَّ أن الطُّيورُ بعيدةٌ عنه، لا يَراها إلاّ في الجو طائرةً محلقة.." (جلاوجي، عقد الجمان: قصص للأطفال، 2020، صفحة 41)، وكقوله في "الحمامة الذهبية": "فرحت الحمامةُ المذهبة الرأس بهذا الانتصار وصاحت... استيقظت الحمامة من نومها، وأيقظَت فراخها الصغيرةَ ليبدؤوا جميعا يوما جديدا سعيدا لكنَّهم فوجئوا بصياح القرد مهددا.." (جلاوجي، السلسلة الذهبية: قصص للأطفال، 2021، صفحة 23).

-**الجمال:** يتجلّى ذلك في التناغم بين الأصوات المستخدمة في العبارات والألفاظ، التي جاءت مسجوعة في أكثرها: "كان طارق طفلاً مهذباً في أخلاقه، مجتهداً نجيباً في دروسه...، في الصباحِ الباكر حين

تستيقظ من نومها، وفي المساء حين تَؤوبُ إلى أعشاشها...، جمال ألوانِها، ونعومة ريشها، واختلاف أشكالها" (جلاوجي، عقد الجمان: قصص للأطفال، 2020، صفحة 41). إضافة إلى كثافة المحسنات البديعية الأخرى كالجناس: "نحيف، خفيف"، "بديع، سريع"، والصور البيانية: "رقص قلب الصديقين"، "فهزته الفرحة" (جلاوجي، عقد الجمان: قصص للأطفال، 2020)، "في حضن شجرة"، "يشق عتَمة الليل"، "انطلق القرد يطوي الجبال والوديان"... (جلاوجي، السلسلة الذهبية: قصص للأطفال، 2021).

-**الخفّة:** وتتحقق في نصّي القصّتين من خلال الطرافة في الأفكار، وعدم كثافتها، فكلّ فقرة تجدها مخصصة لفكرة واحدة موجزة وواضحة، وهو أمر استقر عليه الكاتب في جل فقرات القصتين، ممّا زادهما وضوحا وسلاسة وخفّة.

4. دراسة منظومة القيم في قصتي: "العصفور الجميل" و "الحمامة الذهبية" لجلاوجي

سنحاول فيما يأتي الكشف عن "منظومة القيم" وفق الخطة الشاملة للثقافة العربية التي أصدرتها جامعة الدول العربية -التي أشرنا إليها آنفا-؛ في قصتي "العصفور الجميل" و "الحمامة الذهبية".

1.4 منظومة القيم الواردة في قصّة "العصفور الجميل"

تستوقفنا ونحن نقرأ هذه القصة اللطيفة مجموعة من القيم المتنوعة والتي يمكن أن نجملها في:

-**القيم الاجتماعية:**

تبرز في هذه القصة العديد من القيم ذات البعد الاجتماعي، إذ نسجل في مطلعها إشارات لطيفة إلى أهمية المحافظة على البيئة، والتحلي بالمسؤولية في هذا المجال، حيث يوجهنا الكاتب في بداية القصة إلى مدى تعلق "طارق" بطل القصة بالطبيعة، ومدى افتتانه بجمالها، ومع ذلك فهو حريص على المحافظة على التوازن الموجود فيها، ولذلك نجده يصرح بأنه لا يريد التعرض بالإذاية للعصفور الضعيف الذي أراد اصطياده، فها هو يقول ببراءة مخاطبا صديقه خالدا: "اطمئنَّ تماما، فلن أؤذيها أبداً" (جلاوجي، عقد الجمان: قصص للأطفال، 2020، صفحة 42)، وهي إشارة أخرى لقيمة اجتماعية مهمة وهي: الرفق بالحيوان التي لطالما حث عليها الدين والعرف والمنطق السليم. كما نجد في نهايتها أيضا التأكيد على هذه القيمة أيضا حينما اهتدى الصديقان بفضل نصيحة والد طارق إلى تلك الفكرة العظيمة، وهي: تأسيس جمعية لحماية العصافير (جلاوجي، عقد الجمان: قصص للأطفال، 2020، صفحة 51).

ومن القيم الاجتماعية المهمة الواردة في هذه القصة أيضا: احترام الأسرة وتقديم الرفق والعفو في العلاقات الاجتماعية، وهو ما اتضح في طريقة تعامل الوالد مع ابنه، حيث آثر الرفق واللين والتعليم بالتي هي أحسن بدل التعنيف والتوبيخ (جلاوجي، عقد الجمان: قصص للأطفال، 2020، الصفحات

49-50)، الأمر الذي عاد بالإيجاب على سلوك الصديقين الصغيرين؛ من خلال تقبّل نصيحة الأب بسرعة وبصدر رحب، وفهم مقصودها، والعزم والمبادرة إلى تنفيذ مضمونها.

-القيم السياسية

من القيم السياسية التي أشارت إليها قصة العصفور الجميل؛ نجد "الحرية" و "تحريم الاستغلال"، كما نجد الإشارة أيضا إلى قيم: "العدل" و "المساواة في الفرص" و"تحريم الظلم"، فمن ذلك ردّ الأب وهو يوجه الصغيرين إلى فداحة الخطإ الذي ارتكباه قائلا:

-"حبُّكما للعُصفورِ لا يكونُ بسِجنِه لأنَّ العصَافِير لا تحبُّ أنْ تحيَا وتعيشَ إلا حُرة طليقَة في الطَّبيعة، حيثُ خلقَها اللهُ، وتصورا لو أن كلّ واحد منّا اصطاد عصفورا لخلت الطبيعة من العصافير الجميلة، وما أتعس الطبيعة دون عصافير!، انظرا إليه كيف هو حزين. .." (جلاوجي، عقد الجمان: قصص للأطفال، 2020، صفحة 51).

-القيم الفكرية والثقافية

ومنها: تكريم العلم، والإشادة بالذكاء والإبداع. ويتجلى ذلك في تقديم الكاتب لبطل القصة "طارق"، بأنّه: ذلك الطفل "المهذب في أخلاقه المجتهد، النجيب في دروسه". وهو أيضا الطفل الذكي المبدع صاحب الأفكار الناجحة والخطط الجيدة؛ حيث هداه تفكيره إلى وضع **خطة محكمة تمكن بفضلها من تحقيق مبتغاه واصطياد عصفور جميل، وصنع قفص متقن بديع** (جلاوجي، عقد الجمان: قصص للأطفال، 2020، الصفحات 41-42).

2.4 منظومة القيم الواردة في قصّة "الحمامة الذهبية"

تتضمّن هذه القصة اللطيفة مجموعة من القيم المتنوعة والتي يمكن أن نجملها في:

-القيم الاجتماعية

من القيم الاجتماعية التي أشارت إليها هذه القصة: الاهتمام بالعلاقات الاجتماعية داخل الأسرة، نلمس ذلك من خلال بداية القصة باجتماع الأطفال حول جدهم وطلبهم منه أن يقص عليهم قصة طريفة؛ فما كان منه إلا أن استجاب طلبهم بحب وابتسامة (جلاوجي، السلسلة الذهبية: قصص للأطفال، 2021، صفحة 21). كما نجد مثل ذلك أيضا في تعامل الحمامة مع فراخها في جو يسوده التفاهم والتعاون بين أفراد الأسرة (جلاوجي، السلسلة الذهبية: قصص للأطفال، 2021، صفحة 33).

ومن القيم الاجتماعية البارزة في القصة: العفو وترك الانتقام وعدم التعدي؛ فرغم إساءة الخنزير واعتدائه الغاشم إلا أن الحمامة أمرت فراخها أن يكفوا عنه بعد أن أخذ جزاءه قائلة: "الدفاعُ عن الحقِّ لا يعني الحقدُ دعوه لقد نال جزاءَه" (جلاوجي، السلسلة الذهبية: قصص للأطفال، 2021، صفحة 33).

-القيم السياسية:

عديدة هي القيم السياسية الواردة في هذه القصة؛ نذكر منها: العدل، رفض الظلم، الإشادة بالحرية، تحرير الإنسان من الاستغلال، الدفاع عن الحق، المساواة في الفرص، انتصار الحق ...، وهي متكررة في ثنايا هذه القصة، حتى كأنّها إحدى الحكايات الرمزية من كتاب "كليلة ودمنة"، فهذه القصة وإن كان أبطالها حيوانات؛ إلا أنها تقدم للأطفال جملة القيم السابقة في قالب مشوق يتناسب مع نفسياتهم وميولاتهم. ومن ذلك ما نقرأه في المقطع الآتي: "ومساء ذاتَ يومٍ جمعتهم جميعا في سفحِ ذاك الجبلِ، وراحت تذكرُهم أن بيتهم الحقيقي هو شجرةُ الزيتونِ التي اغتصبَها الخنزيرُ القذرُ، وأن الواجبَ يدعوهم إلى أن يعودوا إليه، وأن يسترجعوها، ولو كلَّف ذلك موتَهم جميعا" (جلاوجي، السلسلة الذهبية: قصص للأطفال، 2021، صفحة 28). ففيه دعوة واضحة إلى التحرر ورفض الذل والاستعباد، وضرورة الوقوف في وجه المعتدين ولو كلّف ذلك التضحية بالأرواح.

-القيم الفكرية والثقافية

في هذه القصة بعض القيم الفكرية والثقافية مثل: التحفيز على الإبداع، والحث على العمل، ونبذ الكسل والدعة، كوصف الكاتب حاكيا حال الحمامة وفراخها: "تنهضُ الحمامةُ كلَّ صباحٍ باكرا فتوقظَ أطفالها، فتصعد بهم إلى الجبلِ تعلمُهم الطيرانَ والعملَ والقدرة على مواجهةِ المصاعبِ والشدائدِ" (جلاوجي، السلسلة الذهبية: قصص للأطفال، 2021، صفحة 28) .

ومنها أيضا: الإشادة بالشجاعة ومقت الجبن، فمن ذلك ما جاء على لسان القرد محاولا إغراء الخنزير: "تَعسًا لك أيُّها الجبانُ، وأنا الذي قلتُ لن يأخذَ بثأري، ولن يشفيَ غليلي إلا صديقي العزيز الخنزيرُ الشجاعُ الجميلُ" (جلاوجي، السلسلة الذهبية: قصص للأطفال، 2021، صفحة 26). وقول الحمامة: "إنك أجبنُ من القردِ وإلَّا ما كنتَ تحدثني من داخلِ البيتِ" (جلاوجي، السلسلة الذهبية: قصص للأطفال، 2021، صفحة 27).

5. خاتمة:

في خاتمة هذا البحث نؤكد على القيمة المضافة التي تقدمها مثل هذه الأعمال، التي تبقى ساحةُ أدب الطفل في حاجة إلى المزيد منها، كما نشيد أيضا بجهود الكاتب عز الدين جلاوجي؛ الذي أثبت البحث أنه وُفّق إجمالا في تحقيق التناغم بين ما يقتضيه الأدب من الإبداع والجمالية، وبين ما تقتضيه شخصية الطفل خصوصية هذه الفئة من القراء من الاهتمام بالقيم والأبعاد التربوية. فقد كانت القصتان محلّ الدراسة غنيتان من حيث البناء الجمالي الفني؛ وقد تجلّى ذلك في:

-وضوح الألفاظ وبساطتها، وسلاسة التراكيب والعبارات، مع ترابط الأفكار ودقّة ترتيبها.

–قوّة المثيرات والمنبهات التي استخدمها الكاتب لمخاطبة مشاعر الأطفال وأحاسيسهم.

–جمال وتناغم الأصوات والألفاظ والمعاني، وغنى النصّين بالمحسنات اللفظية والصور البيانية.

–خفّة النصين وطرافتهما، وبعدهما عن الكثافة الفكرية التي قد تثقل نفس الطفل/ القارئ، وتصيبه بالملل.

ومن جانب القيم، فقد تنوّعت هي الأخرى، وتمكّن الكاتب من إثراء النصين بالقيم الفكرية والثقافية: تكريم العلم، والإشادة بالذكاء والإبداع...، والسياسية: العدل، رفض الظلم، الإشادة بالحرية، تحرير الإنسان من الاستغلال، الدفاع عن الحق، المساواة في الفرص. والاجتماعية: الاهتمام بالعلاقات الاجتماعية داخل الأسرة، المحافظة على البيئة، والتحلي بالمسؤولية، العفو وترك الانتقام وعدم التعدي...، وغيرها.

ومن الجدير أن نقترح ضرورة إدخال مثل هذه الأعمال –التي تزخر بالقيم الفنية الجمالية، والقيم التربوية الفكرية من جهة أخرى على السواء– إلى مناهجنا الدراسية قصد تعريف الجيل الصاعد بكُتّابنا وأُدبائنا وتقريبهم منهم من جهة، والاستفادة من تجاربهم في غرس القيم الفاضلة في تلاميذنا، وتحسين تحصيلهم الدراسي.

6. قائمة المراجع:

أولا: الكتب

1– ابن منظور. (1414 ه). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر .

2– أحمد نجيب. (1982). *فن الكتابة للأطفال* . القاهرة : دار الفكر العربي.

3– الزمخشري .(*1922*) .*أساس البلاغة* .القاهرة: دار الكتب المصرية.

4– العيد جلولي. (2008). *النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر* . الجزائر: موفم للنشر.

5– الفيصل سمر روحي. (1998). *أدب الأطفال وثقافتهم : دراسة نقدية* . دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

6– بتزنر, ج .(*s.d.*) .*الطفل ودراسة الأدب ترجمة*) .م. كامل (*Trad.*, القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

7– سعد أبو الرضا. (1990). *النص الأدبي للأطفال أهدافه ومصادره وسماته*. الإسكندرية : مكتبة المعارف.

8– ضيف, شوقي .(*2003*) .*تاريخ الأدب العربي* . القاهرة: دار المعارف.

9– عز الدين جلاوجي. .(*2020*) .*عقد الجمان: قصص للأطفال* .الجزائر: دار المنتهى للطباعة والنشر والتوزيع.

10- عز الدين جلاوجي. (2021). *السلسلة الذهبية: قصص للأطفال*. الجزائر: دار المنتهى للطباعة والنشر والتوزيع.

11- محمد حسن بريغش. (1997). *أدب الأطفال: أهدافه وسماته* (الإصدار ط3). بيروت: مؤسسة الرسالة.

12- محمد مرتاض. (1994). *من قضايا أدب الأطفال*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

13- مصطفى عليان ربحي. (2014). *أدب الأطفال* (الإصدار 1). عمان، الأردن: دار صفاء للنشر والتوزيع.

14- هادي نعمان الهيتي. (1977). *أدب الأطفال*. بغداد: وزارة الإعلام.

ثانيا: المداخلات:

وفاء إبراهيم السبيل. (1 1, 1999). المرأة وأدب الطفل: رؤية إسلامية القاهرة 1419هـ/. *الملتقى الأول للأدبيات الإسلاميات*.